المحاضرة الثانية:

المفاهيم المشابهة للتغير الاجتماعي :

يعتبر مصطلح التغير الاجتماعي حديثًا نسبيًا بوصفه دراسة علمية، ولكنه قديم المجتمعات البشرية من حيث الاهتمام والملاحظة، وقد كان يحمل معاني عدة ويقترب في معناه من بعض المصطلحات مثل التقدم، التطور، التحديث، النمو...إلخ.

لقد كانت الدراسات القديمة قائمة على التفكير المجرد الفلسفي، ولكنها شكلت إطارًا مرجعيًا للدراسات العلمية في الوقت الراهن. وإذا ألقينا نظرة تأملية في تاريخ دراسات التغير لدى بعض المفكرين، أمكننا القول أن نظرتهم اختلفت عبر العصور، فقد كانت النظرة في القديم تقوم على الملاحظة الخارجية للتغير، مقارنة أجزاء الثقافة التي تتغير ببطء والسريعة التغير.

أما مع مطلع عام 1922 أخذت الدراسات السوسيولوجية في حقيقة الأمر مسار علميًا بعد أن وضع **وليم أوجبرن** كتابه الشهير بـ " **التغير الاجتماعي** ". وبعد ذلك تتابعت الدراسات حول مفهوم التغير في ضوء التقدم الذي في مناهج الدراسات الاجتماعية.

ومن الجدير بالذكر أن نظرة العلماء للتغير في القرن الثامن عشر نظرة تشاؤمية، مبنية على الخوف من المستقبل، واعتبار أم حالة المجتمعات في القديم أفضل من الحالة الراهنة والمستقبلية، لكن العلماء أخذوا ينظرون بعد ذلك على التاريخ نظرة تفاؤلية معتبرين حالة المجتمعات الراهنة أفضل من سابقتها، وأن العصر الذهبي أمامنا وليس خلفنا على حد تعبير **سان سيمون**. وقد صاغ فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع نظريات عامة كان الخلط فيها واضحًا بين مصطلح التغير وغيره من المصطلحات.

بناء عليه سنحاول توضيح تلك المصطلحات المشابهة لمصطلح التغير الاجتماعي، الذي يعني كل تحول يطرأ في البناء الاجتماعي، في النظام والقيم والأدوار، وما يمكن مشاهدته خلال فترة معينة من الزمن. وهذا يعني أن (التغير الاجتماعي) مصطلح لا يعني نفس المعنى التي تعنيه المصطلحات الأخرى مثل: **التقدم، التطور، التحديث، التحضر، النمو، التنمية، الثروة، الإصلاح، التخلف، التراجع، التردي.**

1. **التقدم الاجتماعي (Social Progress):** التقدم الاجتماعي " **هو تغير المجتمع من حالة إلى حالة أفضل سواء في الجوانب المادية أو المعنوية، ويشير إلى عملية مستمرة بمقتضاها ينتقل المجتمع الإنساني من حالة إلى حالة أفضل، أو يسير في اتجاه مرغوب** ".

ارتبط التقدم ببعض النظريات القرن التاسع عشر سواء في فلسفة التاريخ (كما في نظرية كوندرسيه) أو في مجال علم الاجتماع (نظرية أوغست كونت)، حيث أكدت هذه النظريات على أن التاريخ يسير في خط تقدمي، أوشك أن يبلغ ذروته بعد ثورة الصناعة والديمقراطية.

ويُعرف بأنه العملية التي تأخذ شكلا محددًا واتجاها واحدًا مستقيما يتضمن توجيها واعيا مخططا ومقصودا لتوجيه عملية التغير نحو الأمام، بهدف تحقيق بعض الأهداف المرسومة والمنشودة المقبولة أو الأهداف الموضوعية التي تنشد خيرًا أو تنتهي إلى نفع، كما تشير إلى التحسن الايجابي المستمر الصاعد نحو الأمام وينطوي على مراحل ارتقائية، أي أن كل مرحلة تالية أفضل من سابقتها من حيث الثقافة والقدرة الإنتاجية والسيطرة على الطبيعة، بينما (التغير الاجتماعي) قد يكون ايجابيا أو سلبيا، أي تقدمًا وازدهارا أو تخلفا وتأخرًا ونكوصًا.

ومن هنا يستدل على الاختلاف بين المفهومين: التقدم الاجتماعي والتغير الاجتماعي، إذ الأول يحمل معنى التحسن المستمر نحو الأمام، أي أنه يسير في خط صاعد، في حين أن التغير قد يكون تقدمًا أو تخلفًا، وبالتالي يكون مصطلح التغير أكثر علمية، لأنه يتوافق وواقع المجتمعات (واقع التقدم وواقع التخلف)، فالمجتمعات ليست دائمًا في تقدم مستمر وإنما يعتريها التخلف أيضا.

2. **التطور الاجتماعي (Social Evolution)**: يشير إلى التحول المنظم من الأشكال البسيطة إلى الأشكال الأكثر تعقيدًا، وهو يستخدم لوصف التحولات في الحجم والبناء، كما يشير إلى العملية التي تتطور بها الكائنات الحية من أشكالها البسيطة والبدائية إلى صورها الأكثر تعقيدًا، ولقد تأثرت العلوم الاجتماعية في استخدامها للمفهوم بالعلوم الطبيعية، وخاصة علم الأحياء، كما تأثرت أكثر (بنظرية داروين) عن تطور الكائنات الحية.

فالحياة الاجتماعية تتطور من البسيط إلى المركب كما تتطور الكائنات الحية، والحياة الاجتماعية تخضع في تطورها لمبدأ الصراع ومبدأ البقاء للأقوى كما هو الحال في الحياة الطبيعية للحيوانات.

ويعني مفهوم التطور الاجتماعي النمو البطيء المتدرج الذي يؤدي إلى تحولات منتظمة ومتلاحقة، تمر بمراحل مختلفة ترتبط فيها كل مرحلة لاحقة بالمرحلة السابقة.

ويعرف معجم علم الاجتماع مفهوم التطور الاجتماعي: " **بالعملية التي بموجبها تحقق المجتمعات الإنسانية نموًا مستمرًا مرورًا بمراحل متلاحقة مترابطة** "، أي أن التطور الاجتماعي بهذا المفهوم يحمل معنى التقدم التدريجي دون طفرات. وقد استعمل مفهوم التطور الاجتماعي بشكل واسع في العلوم الاجتماعية وفي علم الاجتماع بشكل خاص، بعد أن وضع دارون كتابه المعروف " **أصل الأنواع** " عام 1859، مبينًا فيه نظريته التطورية البيولوجية للكائنات الحية.

وقد استعمل هربوت سبنسر مصطلح التطور الاجتماعي ليشير إلى تطور المجتمع الذي يأتي على غرار تطور الكائن العضوي، وذلك في كتابه أصول علم الاجتماع.

وهناك اختلافًا واضحًا بين التطور العضوي والتطور البشري، ذلك أن الأول يسير في خط مستقيم (حتمي) بينما الثاني يسير في عدة خطوط حسب اختلاف العوامل، وهنا تطرح نظرية المتعدد الخطوط، فالعوامل المختلفة تؤدي إلى اختلاف التطور.

وهكذا فإن التطور العضوي يعني أن الأنواع الحية قد نمت مع الزمن وبصورة متزايدة التعقيد، فهو إضافة (حجمية) دون حذف أو استبدال لبنى قديمة. أما التطور المجتمعي فيعني أن ثقافة المجتمعات قد نمت مع الزمن وبصورة متزايدة التعقيد، بإضافة (كمية ونوعية) مع حذف واستبدال لبنى قديمة.

أي أن التطور الاجتماعي قد أهمل جانبًا مهمًا في تغير المجتمع حيث استبعد فكرة التخلف الاجتماعي التي تنطبق على واقع المجتمعات، فيكون مصطلح التغير الاجتماعي هو الأكثر علمية وواقعية لحالة المجتمعات الإنسانية، وهذا يعني أن التطور حالة من حالات التغير.

3. **التحديث (Modernisation):** التحديث هو " **استبدال الأسلوب التقني التقليدي وما يرتبط به من أنماط تتصل بحياة الأشخاص أو الجماعات أو المجتمعات، وذلك بأسلوب أكثر حداثة ومعاصرة** "، بينما التغيّر أعن من ذلك، ويشمل الأخذ بالأسلوب التقني الحديث، أو العدول عن الأسلوب التقني القديم، أو النكوص إلى الأسلوب التقني القديم، فهو مفهوم عام يشمل التحديث والتقليد والتبعية وغير ذلك.
4. **النمو الاجتماعي (Social Grouth):** يشير مفهوم (النمو) إلى الزيادة في جانب واحد من جوانب الحياة، ويتصف بالثبات المستمر نسبيًا، ويكون بطيئًا وتدريجيًا، ويشير إلى الجوانب الكمية، ويتعلق غالبا بالجانب المادي من المجتمع، ويسير في خط مستقيم نحو الأمام (الزيادة)، بحيث يمكن التنبؤ بما سيؤول إليه، وهو إرادي. ومن أمثلة **التغيرات الكمية** التي يعبر عنها مفهوم النمو التغيرات التي تطرأ على حجم السكان وكثافتهم، والتغيرات في أعداد المواليد والوفيات، ومعدلات الخصوبة وكذلك التغيرات في حجم الدخل القومي ونصيب الفرد منه، والتغيرات في أنواع الإنتاج المختلفة كالتغير في الإنتاج الزراعي أو الصناعي، وتشترك كل هذه التغيرات في أنه يمكن قياسها كميًا، ولذلك فإن مفهوم النمو أكثر انتشارًا في الدراسات السكانية والاقتصادية.

بينما التغير يشمل البناء الاجتماعي والنظام والأدوار والقيم وقواعد الضبط الاجتماعي، وقد يتصف بالثبات النسبي أو العكس، وقد يكون فجائيًا سريعًا أو تدريجيًا بطيئًا، ويتعلق بالجوانب الكمية أو الكيفية أو كلتيهما، ويتصل بالجانب المادي أو المعنوي أو كليهما، ويشير إلى الجوانب الكمية أو الكيفية أو كلتيهما، ولا يكون سيره مستقيمًا بالضرورة فقد يكون تصاعديًا إلى الأمام أو نكوصيًا إلى الخلف، وقد يكون تلقائيا عفويا أو إداريا مخططًا.

وعلى العموم يرتبط مفهوم النمو بمفهوم التغير ارتباطًا وثيقًا، ذلك أن التغير الاجتماعي له جوانب عديدة، ومن هذه الجوانب؛ الجوانب الكمية التي يمكن أن تقام من خلالها معدلات النمو التي تعتبر أحد المؤشرات الهامة للتغير الاجتماعي.

كما أن مصطلح النمو لا يعبر إلا عن جزء من التغير الذي يشير إلى الأفضل مع المحافظة على جوهر البناء بشكل عام، أما الجزء الآخر من التغير فلا يتضمن ذلك الجزء الذي يشير إلى التخلف الاجتماعي. والخلاصة أن النمو يختلف عن التغير في عدة نقاط، وهي كالآتي:

- يشير النمو إلى الزيادة الثابتة نسبيًا، والمستمرة في جانب واحد من جوانب الحياة، أما التغير فيشير إلى التحول في البناء الاجتماعي والنظام والأدوار والقيم وقواعد الضبط الاجتماعي، وقد يكون هذا التحول ايجابيا أو سلبيا ولا يتصف ذلك بالثبات إطلاقا.
- يكون النمو بطيئًا وتدريجيًا، أما التغير الاجتماعي فيكون على عكس ذلك فقط يكون سريعًا ويتضمن قفزات إلى الأمام أو الخلف.
- يسير النمو في خط مستقيم، بحيث يمكن التنبؤ بما سيؤول إليه، أما التغير فلا يكون سيره مستقيمًا باستمرار، وقد تعددت النظرة الاجتماعية نحو اتجاهه. والتغير قد يكون إلى الأمام فيؤدي إلى التقدم كما قد يكون إلى الوراء فيؤدي إلى التخلف.

وفي الدراسات السوسيولوجية نهتم بالتغير الاجتماعي لأنه يعبر عن حقيقة ديناميكية المجتمع، أما النمو فيدخل في الدراسات الاقتصادية نظرًا لطبيعة عملية النمو وخصائصها، فالنمو حالة من حالات التغير.

5. **التنمية الاجتماعية (Développement Social)**: وهي الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية، والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع، وذلك بزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى بعد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية لهؤلاء الأفراد بأسرع من معدل النمو الطبيعي، كما أنها تشير إلى عملية ارتقاء تدريجي كارتقاء نمو الطفل أو الشخصية.

كما تعرف التنمية الاجتماعية: " **بأنها الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معين، بقصد تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية، ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية في شتى مناحيها كالتعليم والصحة والأسرة والشباب، ومن ثم الوصول إلى تحقيق أعلى مستوى ممكن من الرفاهية الاجتماعية** ". وهي تعني التحريك العلمي المخطط للعمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال إيديولوجية معينة، ولا يمكن الفصل بين التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية نظرًا للترابط الوثيق بينهما.

ويرتبط مفهوم التنمية بمفهوم التحديث والذي يعني التحول من نمط المجتمع الذي يعتمد على تكنولوجيا تقليدية، علاقات تقليدية ونظام سياسي تقليدي إلى نمط متطور

تكنولوجيا واقتصاديا وسياسيًا. ويعتبر التحديث عملية تتحقق من خلالها التنمية الاجتماعية، فهي العملية التي تخلق من الظروف ما يجعل المجتمع يحقق غاية التنمية.

ومن الواضح أن مفهوم التنمية ومفهوم التحديث يمكن أن يكون لهما علاقة وثيقة بعملية التغير، فالتحديث والتنمية يحدثان تغيرًا اجتماعيًا، ولكنهما ليس بديلين لمفهوم التغير، لأنهما يعبران عن حالة خاصة تتعلق بتحول المجتمعات التقليدية إلى مجتمعات نامية أو حديثة، أما التغير فهو يشتمل على مفهوم أشمل من مفهوم التنمية وله أبعاد أكثر اتساعًا، وبذلك فالتنمية نوع من أنواع التغير يختص بالتغير المنظم المقصود والمخطط له، دون التغير العشوائي العبثي أو العفوي التلقائي.

- **أما الاتجاهات السائدة في تعريف التنمية وهي:**

- **الرأسمالي**: إن التنمية عبارة عن مراحل نمو تدريجي مستمر، وهي تتضمن إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان عن طريق إصدار التشريعات، ووضع البرامج الاجتماعية التي تقوم بتنفيذها الهيئات الحكومية والأهلية، ولذلك فهي تعني الرعاية الاجتماعية التي تتضمن جانبًا واحدًا من الخدمات الاجتماعية.
- **الاشتراكي**: إن التنمية تعني عملية التغير الاجتماعي الموجهة إلى تغيير البناء الاجتماعي عن طريق الثورة، وإقامة بناء جديد تنبثق عنه علاقات جديدة وقيم مستحدثة، بالإضافة إلى تغيير علاقات الإنتاج القديمة، وذلك لصالح الطبقة العاملة، فالتغير يتجه أولا إلى البناء التحتي- الاقتصادي- من أجل إحداث التغير الاجتماعي المطلوب.
- **الاجتماعي**: وهو اتجاه المفكرين الاجتماعيين حيث يرون أن التنمية هي تحقيق التوافق الاجتماعي لدى أفراد المجتمع، بما يعنيه هذا التوافق من إشباع بيولوجي ونفسي واجتماعي.

- **العلاقة بين التنمية الاجتماعية والتغير الاجتماعي:**

- إن مفهوم التنمية الاجتماعية هو اقرب المفاهيم للتغير الاجتماعي مقارنة بمفاهيم التقدم والنمو والتطور.
- إن المفهوم (الحديث) للتغير الاجتماعي يتطابق ومفهوم التنمية الاجتماعية بالرجوع إلى مضمون المفهومين.
- أما المفهوم المطلق للتغير الاجتماعي فيعني التحول أو التبدل الذي يطرأ على البناء الاجتماعي متضمنًا تبدل النظام الاجتماعي والأدوار والقيم وقواعد الضبط الاجتماعي (إيجابا وسلبًا). إن التنمية الاجتماعية (ايجابية) دائما، في حين أن التغير الاجتماعي قد يكون تخلفًا.

6. **التحضر (Urbanisation)**: يشير مفهوم التحضر إلى عملية من عمليات التغير الاجتماعي، وهي انتقال الريفيين إلى المدن، واكتسابهم تدريجيًا القيم الحضارية وما

يرتبط بها من أنماط السلوك الحضري إلى أن تنتهي هذه العملية إلى ما يسمى بـ (التكيف الاجتماعي).

ويشير مفهوم (الحضرية) إلى اكتساب الناس- وخاصة في الريف- لأساليب الحضر دون الانتقال إلى المدن، أي التحول القيمي والثقافي دون التحول المكاني الجغرافي. أما التغير الاجتماعي فهو يشمل انتقال الريفيين إلى المدن والعكس، واكتساب الناس لأساليب الحضر والعكس، وهكذا فالتحضر يصف جزءًا من عملية التغير الاجتماعي.